Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(1) ; January 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
2.12.2018	31.12.2018	1.1.2019

الطب والأطباء في صدر الإسلام

MEDICINE AND DOCTORS IN EARLY ISLAM (Sadr al-Islam)

أ. د. حسين فلاح الكساسبة

Prof. Hussein Kasasbeh

أستاذ التاريخ الإسلامي

جامعة مؤتة/ الأردن

ملخص

تناولت هذه الدراسة علم الطب والأطباء في الدولة العربية الإسلامية في عصرها الأول؛ حيث شهد ميلاد الحضارة الإسلامية وتطور مؤسساتها في نواحٍ شتى. حيث عالج هذا البحث علم الطب عند العرب قبل الإسلام، والطب والعناية بصحة الإنسان في عصر الرسول والخلفاء الراشدين. فقد وضع الرسول (ﷺ) الأسس الصحية العامة، ودعا الناس إلى الاستعانة بالأطباء، ولم يقتصر مزاولة الطب على الرجال بل كانت بعض النساء يمارسن مهنة التطبيب والتمريض في العصر النبوي. وفي العصر الأموي اهتم الخلفاء بالأطباء ومنحوهم الحرية الدينية والسياسية والفكرية، وكانوا يعاملوهم معاملة حسنة؛ انعكست على مكانتهم الاجتماعية وحياتهم الاقتصادية. فقد احتل هذا العلم المرتبة الأولى بين العلوم الأخرى التي ظهرت بداياتها ترسخ في العصر الأموي، سواء كان ذلك من حيث اهتمام الخلفاء بمؤسساته وتطويرها، أو الاهتمام بأصحاب المهن الطبية الذين يعدون الركن الفعال لقيام مثل هذه المؤسسات. فقد قام الطب على أسس ودعائم ثابتة ومؤثرة، كان لا بد لها أن تنهض وتستمر لتأثيرها الكبير على حياة المجتمع الإنساني واستمراره.

وتجلى البحث في الحديث عن مؤهلات الأطباء وثقافاتهم؛ فقد كانت ثقافتهم عالية و معارفهم متنوعة، وكان جلهم يقنون أكثر من لغة، كذلك عالج البحث الخلفية الدينية والعرقية للأطباء. فقد كان بعض الأطباء مسلمين ومن العرب وكان البعض من أجناس أخرى.

الكلمات المفتاحية: تاريخ إسلامي، حضارة إسلامية، صدر الإسلام، الطب.

Abstract

This study deals with the science of medicine and doctors in the Arab Islamic state in its first era; it witnessed the birth of the Islamic civilization and the development of its institutions at various aspects. This research discusses the medicine among Arabs before Islam, medicine and the care of human health in the Prophetic era and the righteous Caliphs. The Prophet (PBUH) laid the foundations of public health, and called people to seek the help of doctors. Some women practiced the profession of medicine and nursing in the era of the Prophet. In the Umayyad period, Caliphs took care of doctors and gave them religious, political and intellectual freedom. They treated them well; this reflected on their social status and economic life. This science of medicine ranked first among the other sciences that emerged in the Umayyad period. Medicine has been based on firm and influential foundations, which have had to rise and continue to have a great impact on the life and continuity of human society.

Some points are examined in this paper such as; the qualifications and knowledge of doctors, as well as the religious and ethnic background. Some of them were Muslims and Arabs, and some were of other races

مدخل

تناولت هذه الدراسة أحد العلوم العقلية التجريبية ذات الصبغة التطبيقية وثيقة الصلة بالحياة البشرية، التي اعتنت بها الأمم، ولها فيها مؤلفات ونظريات عديدة، ترجمها العرب المسلمون وأفادوا منها. إلا انه في الوقت نفسه كان لهم ابتكاراتهم العلمية في هذه الميادين، ومن العلوم التطبيقية: علم الطب الذي أشتهر في الدولة العربية الإسلامية في عصرها الأول؛ حيث شهدت ميلاد الحضارة الإسلامية وتطور مؤسساتها في نواحٍ شتى، ونشأت فيه العلوم وازدهرت في العصور اللاحقة ومنها علم الطب الذي له أهميته في حفظ الروح والجسد.

عالج هذا البحث علم الطب، والعناية بصحة الإنسان في العصر النبوي والخلفاء الراشدين، ثم تطور الطب في العصر الأموي، حيث اهتم الخلفاء بالأطباء ومنحوهم الحرية الدينية والسياسية والفكرية، وكانوا يعاملوهم معاملة حسنة تميزت بالرفق والإكرام؛ انعكست على مكانتهم الاجتماعية وحياتهم الاقتصادية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كشف النقاب عن الحياة الطبية في الإسلام وما قبله. فقد عنى العرب قبل الإسلام بالطب، لصلته الوثيقة بحياة الإنسان وصحته، فكان طبهم مبني على خبراتهم التي اكتسبوها، وأصولها التي عرفوها. واشتهر عندهم عدد من الأطباء. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز دور الدولة الإسلامية في الحفاظ على صحة الفرد والمجتمع وجهودها في رعاية الخدمات الطبية الأطباء وتقديم الدعم اللازم لهم وما قدموه للحضارة الإنسانية، ودور علماء المسلمين في تطور الميادين الطبية والعناية الصحية، من خلال إيجاد النظريات الطبية المبتكرة وأساليب العلاج الجديدة واختراع الأدوية الشافية.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الدين الإسلامي بالعناية بالطب. فقدحثّت تعاليمه على تعلم الطب وممارسته على صحة الإنسان، عن طريق النظافة والطهارة وقد ظهر ذلك في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وحث وضع الرسول (ص) الناس على الاستعانة بالأطباء، ولم يقتصر مزاولة الطب على الرجال بل كانت بعض النساء يمارسن مهنة التطبيب والتمريض في العد النبوي. ومن أهداف هذه الدراسة كذلك إظهار دور خلفاء الدولة الإسلامية في رعاية الطب كعلم و مهنة وممارسة. فقد احتل هذا العلم مكانة مرموقة في العصر الأموي، سواء كان ذلك من حيث اهتمام الخلفاء بمؤسساته وتطويرها، أو الاهتمام بأصحاب المهن الطبية الذين يعدون الركن الفعال لقيام مثل هذه المؤسسات. فقد قام الطب على أسس ودعائم ثابتة ومؤثرة، كان لا بد لها أن تنهض وتستمر لتأثيرها الكبير على حياة المجتمع الإنساني واستمراره.

لا ينكر أن للعلوم التطبيقية صلة وثيقة بالحياة البشرية، وقد اعتنت بها الأمم القديمة، ولها فيها مؤلفات ونظريات عديدة، ترجمها العرب وأفادوا منها. إلا انه في الوقت نفسه كان للعرب ابتكاراتهم العلمية في هذه الميادين، ومن العلوم التطبيقية علم الطب الذي أشتهر عند العرب ولهم فيه إبداعات متعددة متميزة.

وعلم الطب عند ابن خلدون من فروع الطبيعيات، و يعرفه بقوله وصناعة الطب "تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة وقواها. وعلى المرض بالمعاملات المؤذنة بنصحه وقبوله الدواء أولا في السجية والفضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض، وإنما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن"[1]، وبين أيضا أن هذه الصناعة ضرورية في المدن أكثر منها في البادية، لأن أصل الأمراض الأغذية الغليظة والأغذية المخلوطة بأنواع التوابل، ثم إن الجو الفاسد الناتج من تزاحم الناس في المدن وتراكم فضلاتهم، ومن ثم قلة الرياضة تؤدي إلى ظهور الأمراض[2].

بدايات الطب العربي وتطوره في صدر الإسلام

عنى العرب قبل الإسلام بالطب، لصلته الوثيقة بحياة الإنسان وصحته، فكان طبهم مبني على خبراتهم التي اكتسبوها،وكانت هذه الخبرات قبل الإسلام مبنية على الصدفة التي لعبت دوراً في شفاء بعض الأمراض، عند تناول بعض النباتات عن طريق التكرار[3] و كان لعرب الجاهلية أصول طبية عرفوها، فقد عرفوا تطور الجنين، كما برعوا في خصي الرجال والحيوان، وكان يستخدمون الحاسمة أو القاطعة وهي حديدة محماة على النار، كما كانوا يطهرون بيوتهم من البرص بوضع الزعفران داخلها، وكانوا يعالجون لسعات الحيوان الضارة بالبشر عند موضع اللسعة ومن ثم مص الدم قبل أن يسري السم في الجسم، وعرفوا علاج الأسنان واللثة، وشدوا الأسنان بالذهب، كما كانوا بارعين في التجميل[4].

1 ابن خلدون، المقدمة، بيروت 1949، ص493، انظر القنوجي، ابجد العلوم، 353/2

2 ابن خلدون، المقدمة، ص493؛ عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص 272

3 ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ص345

4 السامرائي، خليل إبراهيم ، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، الموصل د. ت. ص305

وقد برز في الجاهلية عدة أطباء أشهرهم: رفيدة وأم عطية الأنصارية[5]، و زهير بن جناب الحميري وابن حذيم الذي ضرب به المثل (فلان أطب من ابن حذيم)، وزينب طبيبة بنت اود وكانت خبيرة بالعلاج ومعالجة أمراض العين وكانت مشهورة بين العرب[6]، إلا أن شهرة الحرث بن كلدة[7] (ت 50هـ/ 627م) وابنه النضر[8]، فاقت شهرة جميع أطباء الجاهلية، لأنهم عاصروا الإسلام أولا، ولأنهم سافروا إلى بلاد كثيرة خارج شبة جزيرة العرب وعرفوا أصول الطب عند الأمم الأخرى وبخاصة في بلاد فارس، ثانيا[9].

وبعد مجيء الإسلام، حثت تعاليمه على تعلم الطب وممارسته وعلى العناية بصحة الإنسان، عن طريق النظافة والطهارة فأشار القرآن الكريم في مواضع عدة على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[10]، وقول الرسول(ﷺ): "يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا ووضع له شفاء، إلا واحداً وهو الهرم"[11] وقال الشافعي: "العلم علمان: علم الطب للأبدان، وعلم الفقه للأديان"[12].

وقد حض الرسول (ﷺ) على التداوي في كثير من المناسبات وعلى الإقبال على التداوي ومعالجة الأمراض إذا أمكن، وعدم ترك الأمور تسير على طبيعتها كما كان سائدا في المجتمعات العربية قبل الإسلام وغيرها من الأمم السابقة التي كانت تعتقد أن سبب أمراض الإنسان أرواح شريرة لا يتمكن من شفائها إلا الكهان، ومن المنجمين الذين يعتقدون بوجود صلة بين الإنسان والكواكب في حيلته، ومن السحرة والمشعوذين[13].

فإذا ما قارنا هذه المفاهيم مع ما دعا إليه الإسلام، على لسان رسول الله لأدركنا بوضوح الروح الإنسانية الرفيعة، والنظرة الواقعية، اللتان اتصف بهما الرسول وأرادهما للمسلمين بأن يتمثلوها في حياتهم العامة والخاصة على حد سواء.

---

5 فروخ، تاريخ العلوم، ص274

6 ابن أبي اصيبعة، احمد بن القاسم (ت668هـ)، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة 1996، 414/1

7 ابن جلجل، سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة 1955،ص54-56؛ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت ، ص 125-126 ؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 385/1-394

8 ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص 395/1-399؛ صاعد، طبقات الأمم، ص127، جميعان، فؤاد سلامة، مآثر العرب العلمية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001م، ص216

9 ابن جلجل، طبقات، ص54

10 سورة البقرة، آية، 222

11 ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الطب النبوي، ط2، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ص39، سيشار له ابن القيم الجوزي، الطب

12 القنوجي، أبجد العلوم، 31/2؛ عاشور، دراسات، ص119-120

13 عبد الرحمن ، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، 37؛ الزعبي، محمد، العلوم في العصر الأموي، دمشق 1982، 264

وأيا كانت هذه التوجيهات محدودة في عددها، عامة في مراميها وأهدافها، لا تتناول جزئيات الأمراض التي كان المسلمون يتعرضون لها، وما هية الدواء الشافي وأسراره الذي كان الرسول يصفه لأصحابه، إلا أن هذه التوجيهات والإرشادات شكلت فيما بعد القواعد الأولى التي ارتكز عليها علم الطب بكل تفاصيله وجزئياته وثبت أنها كانت ذات دلالات علمية صحيحة، وتشكل في إطارها العام فلسفة وجود علم الطب الحديث، كغرض من أغراض المحافظة على صحة الإنسان وسلامة جسده وعقله، وتجنيبه ويلات الآلام والمتاعب الجسدية التي يمكن أن يعانيها المريض. لقد دعا الرسول بصراحة ووضوح إلى تقصي أسباب المرض والقضاء عليها، وذلك عندما سئل مرة: أفي الطب خيرا يا رسول الله؟ قال نعم، انزل الدواء من انزل الداء[14]".

جاء الإسلام يدعو إلى نظافة وطهارة الجسم و الملبس والمسكن والطريق، بالإضافة إلى طهارة ونظافة الروح. فمن متممات الصلاة الوضوء خمس مرات في اليوم، والاغتسال والنظافة وبخاصة في يوم الجمعة خذوا زينتكم عند كل مسجد، واستخدام السواك، والى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين[15]. وقال الرسول (ﷺ) "ب يحب الطب نظيف" "النظافة كالكرم، جودوا ولو بشق تمرة..لا تشبهوا بالبهود"[16] . ودعا إلى الاعتدال في الأكل والشراب, قال رسول الله (ﷺ) "ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه..."[17]، وقال: " المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"، وقال: "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع". وقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "إياكم والبطنه فإنها مكسلة للصلاة، ومؤدية إلى السقم وعليكم بالاعتدال في قوتكم، فهو أفيد من السرف، واصح للبدن، وأقوى على العبادة". إضافة إلى حكم الصوم الصحية، "صوموا تصحوا"[18].

وحث الرسول عل مكافحة الحمى بالماء البارد[19]، والمعالجة بشرب العسل والحجامة والكي. قال (ﷺ) "الشفاء في ثلاث، شربة عسل وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"[20]. ودعا الرسول

14 ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد الفرنسي للآثار، القاهرة 1955، ص54؛ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق شعيب أرناؤوط وعبد القادر ارناووط، ط1 1980، ص132

15 سورة الأعراف ، آية 31

16 ابن قيم، الطب النبوي، 279

17 ابن قيم، الطب النبوي،17، 18

18 السامرائي، دراسات ص306

19 ابن قيم، الطب النبوي، ص28

20 البخاري، 9/4؛ ابن قيم، الطب النبوي، ص50

إلى المعالجة النفسية بتطبيب النفوس وتقوية القلوب، قال: "إذا دخلتم على المريض، فنفسوا له في الأجل، فان ذلك لا يرد شيئا، وهو يطيب نفس المريض"[21].

ودعا الإسلام إلى الحجر الصحي عند انتشار الأمراض المعدية خشية تفشي ذلك المرض وانتقاله من المريض إلى السليم، فيروى أنه قال في مرض الطاعون: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه"[22].

والجدير بالذكر، إن أحاديث الرسول ونصائحه الطبية عرفت بالطب النبوي، فهو مجموعة من الأحاديث النبوية التي يبلغ عددها ثلاثمائة حديث، جمعت بعد وفاته وتحتوي على قواعد عامة لحفظ الصحة، وقد وضع ابن قيم الجوزية كتابا جامعا في هذا الباب بعنوان (الطب النبوي)[23]. ولهذا الطب النبوي أهميته من الناحية النفسية كما هو معروف، فقد عالجها بأمرين: الأول الإيمان وهو الذي يشرح الصدر والنفس، ويطرد القلق الذي يسبب اضطراب الأعصاب والاكتئاب والثاني عدم الإرهاق سوا في العبادات أو في أمور الحياة الدنيوية[24].

ويرى ابن خلدون أن الطب النبوي ليس من الوحي وقد يصيب حينا ولا يصيب حينا آخر لأنه قائم في الأصل على تجارب قليلة محدودة لا على قواعد علم الطب (المزاج الطبيعي). ومن المعارف الطبية الواردة في كتب الحديث صحيحة في ذاتها، فان ورودها في كتب الحديث لا يوجب العمل بها. غير أن هذه المعارف إذا استعملت على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني (الاعتقاد الراسخ بقدرتها على الشفاء) كان لها اثر عظيم في المتطبب بها تكون حينئذ جانبا من الطب النفساني، وأشار أيضا بأن الرسول بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات[25].

نعم إن الرسول بعث رسولا وهاديا للناس ولم يبعث طبيبا. ولكن رسول الله لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيا يوحا. فقد وردت أحاديث عن رسول الله في الحمية، منذ أربعة عشر قرنا والطب لا يزال طفلا رضيعا، ثم شب الطب وترعرع ولم يزدها إلا إثباتا وتحقيقا.

و لا مجال هنا لإثبات صحة ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من أمور علمية فالأمر بحث بشكل مستفيض من قبل علماء ومؤسسات مسلمة وغير مسلمة. أما في مجال الطب فهناك بحوث مستفيضة تدلل على ما جاء به الإسلام من أمور طبية[26].

21 ابن قيم، الطب النبوي، ص116
22 البخاري 14/4
23 ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، القاهرة، 1957، ص2؛ السامرائي، دراسات ص306
24 السامرائي، دراسات ص306
25 ابن خلدون، المقدمة ص 493؛ السامرائي، دراسات ص306-307
26 انظر مثلا فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي 1978، ص22-31

وهكذا وضع الرسول الأسس الصحيحة العامة، ودعا الناس إلى الاستعانة بالأطباء الذين كان عدد منهم في عصره في شبة الجزيرة، وعلى رأس هؤلاء الحرث بن كلدة[27] الذي اشتهر أمره كأول طبيب عربي في الإسلام. ويذكر المستشرق ادوارد براون[28] انه قبل أن يؤلف كتابه، استشار أستاذ الطب في جامعة كمبرج ، عن أحسن المراجع في تاريخ الطب فأجابه بأن العلم الذي وضعه النبي مُحَمَّد، لأنه هو وعلم الدين على مستوى واحد، إذ قال: العلم، علمان، علم الأديان وعلم الأبدان"[29].

ويمكن تبيان المستوى الذي كان عليه الطب في صدر الإسلام من خلال الحديث عن سيرة أطباء تلك الفترة وخاصة الطبيب العربي المشهور الحرث بن كلدة، لمعرفة أهم معارفه الطبية التي اكتسبها ثم نادى بها وأثرها على المعارف الطبية في العصور اللاحقة خاصة العصر الأموي.

الحَرْث طبيب كان معروفا في الأصل[30] من الطَّائف وسافر في البِلاد وتعلم الطِّب بِنَاحِيَة فَارس وتمرن هُنَاك وعرف والدكاء الديه. رب بالعود تعلم ذَلِك أَيْضا بفَارس واليمن،عاش أَيَّام رَسُول اللَّه وصلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر وعُثْمَان وعلي بن أبي طَالب ومُعَاوِيَة رَضِي الله سأله عنها[31]. مَا الطِّب فَقَالَ الأزم يعني الجوع[32] سعد بن أبي وقاص رَضِي الله عَنهُ أنه مرض بمكَّة مرضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أدعوا لَهُ الحَرْث بن كلدة فَإِنَّهُ رجل يتطبب فَلَمَّا عَاده الحَرْث نظر إِلَيْهِ وبأقل اتخذوا لَهُ فريقة بشَيْء من تمر عَجْوَة وحلبة يطبخان فتحساها فبرئ[33].

وكانت للحرث معالجات كثيرة، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج إليه من المداواة، وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره ظهر ذلك في مقابلةالحرث بن كلدة مع كسرى أنو شروان تلك المقابلة التي تلخص قواعد الصحة العامة و أهم المعارف الطبية التي نادى بها الحرث بن كلدة[34]:

1. نهى عن إدخال الطعام على الطعام لئلا يصاب الإنسان بالتخمة التي تؤثر على الصحة العامة.

27 ابن جلجل، طبقات 54-55؛ القفطي، إخبار العلماء 125-126 ؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 385/1-394
28 براون، ادوارد جي، الطب العربي، ترجمة داود سليمان علي، مطبعة العامي، بغداد 1964، ص7-8
29 السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القران، المكتبة الثقافية بيروت 1973، 127/4
30 ابن جلجل، طبقات 54-55؛ القفطي، إخبار العلماء 125-126 ؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 385/1-394
31 ابن أبي اصيبعة، عيون 386/1
32 وذكر ذلك ابن جلجل 55؛ كتاب الصحاح الأزم المسك يُقَال أزم الرجل عَن الشَّيْء أمسك عَنهُ. الحَدِيث أَن عمر رَضِي الله عَنهُ سَأَلَ الحَرْث بن كلدة مَا الدَّوَاء فَقَالَ الأزم يالأزم في الحمية
33 ابن جلجل، طبقات، ص54؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 387/1
34 عن تفاصيل مقابلة كسرى للحرث انظر: ابن أبي اصيبعة، عيون ص387/1-392 ؛ ابن جلجل، طبقات ص54

2. الحمية؟ الاقتصاد في كل شيء، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها
3. حض على أكل الفواكه في إقبالها وأوانها، وتركها إذا أدبرت وولت وانقضى أوانها، وان أفضل الفواكه الرمان والاترج، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج؛ وأفضل البقول الهندباء والخس.
4. حض على الزواج من المرأة الفتية، وعدم إتيان المرأة المسنة، وأكد على أن يؤخذ بعين الاعتبار الفرق في السن بين الرجل والمرأة
5. حض على شرب الماء بقدر لأهميته لجسم الإنسان
6. نهى عن تناول الأدوية إلا عند الضرورة لمضارة الأدوية الجانبية الأخرى على الجسم
7. نهى عن التعرض لحرارة الشمس كثيرا، لأن ضررها سيصبح أكثر من نفعها. وقال عليكم الظل فإن الشمس تنهج الثوب، وتنقل الريح، وتشحب اللون، وتهيج الداء الدفين.
8. وفي مجال التشريح، قسم العين إلى ثلاثة أقسام
9. البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وتعويد كل جسم ما اعتاد عليه

والى جانب ذلك فقد عرف بعض الأطباءفي عصر الرسول وان كانوا اقل شهرة مثل ابنه النضر بن الحرث[35]: الذي سافر البلاد أيضا كأبيه، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها، وعاشر الأحبار والكهنة، واشتغل وحصل من العلوم أشياء جليلة القدر، واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة، وتعلم من أبيه،أيضاً، ما كان يعلمه من الطب وغيره، وكان النضر يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي صلى الله علية وسلم، لكونه كان ثقفياً، وكان النضر كثير الأذى والحسد للنبي صلى الله علية وسلم، ويتكلم فيه بأشياء كثيرة، كي يحط من قدره عند أهل مكة، ويبطل ما أتي به بزعمه، ولم يعلم، بشقاوته، إن النبوة أعظم؛ والسعادة أقدر؛ والعناية الإلهية أجل؛ والأمور المقدرة أثبت[36]. و قد انتهت حياة النضر أسيرا يوم بدر ثم قتيلاً بعد انتهاء المعركة[37].

و من أطباء العصر النبوي: ضماد بن ثعلبة: كان صديقاً للنبي (ﷺ) في الجاهلية، وكان يتطبب، ويطلب العلم، ويداوي من الريح. عن ابن عباس قال: كان للنبي صديق في الجاهلية يقال له ضماد، من أزد شنوءة، وكان يتطبب ويطلب العلم، يخرج في ذاك، فغاب، فجاء وقد بعث النبي فلما بعث سأل عنه، فلقي أناساً من سفهاء قريش، فسألهم عنه، فقالوا: عرض له إنما تجده عند كل كناسة، وتجده وحده، قال:

35 ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص 395/1-399؛ صاعد، طبقات الأمم، ص127، جميعان، مآثر ص216
36 ابن أبي اصيبعة، عيون 395/1
37 لما كان يوم بدر وانتصر فيه المسلمون على مشركي قريش، وقتلت في جملتهم صناديد قريش، وأسر جماعة منهم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحرث بن كلدة، فأمر عليه السلام بقتلهما بعد منصرفه من بدر انظر ابن أبي اصيبعة، عيون 398/1

فخرج في طلبه، فوجده في ناحية من البطحاء، فدنا منه، فقال: قد علمت الذي كان بيني وبينك، وأني حين قدمت سألت عنك، فأخبروني بما عرض لك، وقد علمت أني طبيب، وقد شفى الله على يدي. ومن الأطباء ابن حذيم، من تيم الرباب، وكان من أطب العرب، حتى قيل: أطب في الكي من ابن حذيم. والشمردل بن قباب، من نجران، وقد أسلم على يد النبي (ﷺ) وله كلام معه حول ممارسته لهذه الصناعة. وزهير بن جناب، الذي كان طبيب قومه[38]. ومنهم أيضا في زمن رسول الله ابن أبي رمثه: كان طبيبا عالما بصناعة الطب وكان رأى خاتم النبوة وظنه ألماً فقال لرسول الله: دعني أعالجه فإن رفيق الصنعة. فقال رسول الله: "أنت طبيب والرفيق الله"[39].

لم يقتصر مزاولة الطب على الرجال بل كانت بعض النساء يمارسن مهنة التطبيب والتمريض في العهد النبوي، وقد اشتهر منهن رفيدة الأنصارية، التي جعلت لها خيمة في مسجد الرسول (ﷺ)تم ّيت عيادة رفيدة. وكانت تداوي النساء والرجال معاً في زمن الحرب والسلم على السواء، ولما أصيب سعد بن معاذ في معركة الخندق، قال الر سول: «اجعلوه في خيمة رفيدة». وكعيبة بنت سعد، أم سنان الأسلمية، التي شهدت خيبر مع الرسول. قال ابن سعد وهي التي كانت لها خيمة تداوي فيها المرضى والجرحى. كما أن هناك من النساء من كن يمارسن مهنة خفاض الإناث، فقد ورد أن حمزة بن عبد المطلب قال لسباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي دينار: يا ابن مقطعة البظور. وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق ختّانة بمكة[40]. وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، قال: إن رسول الله (ﷺ)، قال لأم عطية: إذا خفضت فأشمي، ولا تنهكي، فإنه أحسن للوجه وأرضى للزوج. ومنهن من مارست مهنة التوليد، كسلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب، التي قبّلت ماريا القبطية حينما ولدت إبراهيم. وكانت أم جميلة تعالج من الكلف، وقد سألت عائشة عن ذلك، فأمرتها بالاستمرار[41].

الطب في العصر الأموي

إن جميع المصادر التي تحدثت عن العصر الأموي خلال قرن، وأطنبت في سرد الأحداث السياسية وخاصة الثورات والفتوح وشؤون الخلفاء الخاصةلم تولِ الطب والحياة الصحية كبير اهتمام بالقدر الذي

38 الخطيب، عبد الرحمن ، الطب في الجاهلية وزمن النبوةhttp://www.alhayat.com/article/351591

39 ابن جلجل، طبقات 57؛ الاندلسي، طبقات الامم ص 47؛ القفطي، إخبار العلماء، 298؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 400/1

40 قاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي دينار ، فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي. ابن هشام، السيرة النبوية

41 الخطيب، الطب http://www.alhayat.com/article/351591

أولته للأحداث الأخرى، ولولى أن بعض الأطباء الذين كانوا قد عملوا في بلاط الخلفاء وكبار الموظفين، لما ذكرتهم المصادر وأطنبت في ذكر أحوالهم مهملة الكثير من الأطباء في دمشق وبقية مدن الشام وسائر المدن الأخرى والقرى، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار، إن المنطقة التي قامت فيها عاصمة الخلافة الأموية كانت من المناطق المتحضرة قبل الفتح الإسلامي وبعده، أي أنه ليس من الغريب القول بأن هذه البلاد كانت متقدمة في الحياة الصحية ويوجد فيها عدد من الأطباء الذين كانوا عونا للأمويين في تحقيق تطلعاتهم نحو حياة صحية أفضل تتناسب مع التقدم العلمي والازدهار الاقتصادي والتطور الاجتماعي والديني والسياسي التي وصلت إليه الدولة الإسلامية. مع ذلك وبالرغم من صمت المصادر، فان الخلفاء الأمويين كان لهم باع طويل إلى حد ما بالتركيز على الحياة الطبية واستمرارها، كظاهرة تساعد على دفع حركة المجتمع باتجاه التطور، فقد وجدوا أنه من الضروري لاستمرار الحياة وسعادة الرعية، الاهتمام بشؤون الصحة العامة لما فيها من فائدة في از دهار المجتمع وتقدمه على جميع المستويات وهذا الاهتمام نلحظه منذ مطلع العصر الأموي. ظهر ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ)و حفيده خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85هـ/ 704م)[42]؛ حيث كان لمعاوية طبيبان نصرانيان من أهل دمشق، الأول ابن اثال[43]، وكان خبيرا بالأدوية المفردة وبالسموم، وكان معاوية يستعين به على التخلص من خصومة السياسيين[44]، والثاني الحكم بن أبي الحكم الدمشقي[45]، الذي كان بارعا في الطب، وكان طبيب الأسرة الحاكمة لأمانته، وقد عاش إلى عصر عبد الملك بن مروان[46].

وكتب زياد بن أبيه[47] (ت 53هـ) ـاكثرة الكلاب المسعورة في البصرة دواء للكَلَب في صحيفة وعلقها على باب المسجد ليعرفه جميع الناس[48]. وخرجت لسكينه بنت الحسين غدة في أسفل عينها ثم أخذت تنمو، فشق الطبيب بدراقس جلد وجهها وكشطة حتى ظهر أصل الغدة فنزعها، فعاد وجه سكينة إلى ما كان عليه سوى موضع الجرح[49].

42 الأندلسي، صاعد بن احمد، طبقات الأمم، مطبعة السعادة القاهرة، ص128؛ مرحبا، مُحَمَّد عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م، ص92-93

43 عن حياته انظر الصفحات التالية

44 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء 401/1

45 عن حياته انظر الصفحات التالية

46 القفطي، إخبار العلماء، ص137، 297؛ ابن أبي اصيبعة، عيون /403-404

47 زياد بن أبيه والي العراق للخليفة معاوية بن أبي سفيان

48 عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب ص275

49 الأصفهاني، الأغاني، 160/16؛ السامرائي، دراسات ص308

وعلى النطاق الشخصي، فقد كان خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85هـ/ 704م) عالما بالطب والكيمياء، وهو أول من نقل طب اليونان إلى العربية، وقد اهتم بالعلوم بعد فشله بالوصول إلى الخلافة[50]، أما على النطاق الرسمي، فقد اهتم بالطب مروان بن الحكم، حيث ترجم له طبيبه ماسرجويه من السريانية إلى العربية كتاب أهرُن بن أعين القس السكندري المعروف بالكناش[51].

واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) بالطب و الصحة العامة لرعيته، وكان من أطبائه الطبيب البصري ماسرجويه الإسرائيلي[52]. كما شجع الخليفة عمر ترجمة كتب الطب من اللغات الأخرى إلى العربية، وأمر بالاطلاع والانتفاع بهذه الكتب، من ذلك كتاب أهرن بن أعين في الطب، الذي كان محفوظا بخزائن الأمويين منذ ترجمته في عهد مروان بن الحكم [53]وكذلك كان عمر يرسل قارورة البول إلى الطبيب لفحصها[54].

ومن مظاهر اهتمام الأمويين بالطب والمحافظة على الصحة العامة تأسيسهم للبيمارستانات[55] (المستشفيات). فقد قام الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) ببناء بيمارستان (مستشفى) بدمشق عام 88هـ وجعل فيها الأطباء، وأمر بحبس المجذومين فيها وأجرى عليهم الأرزاق[56]. وكان الوليد أول من انشأ البيمارستانات للمرضى وأول من أجرى على العميان والمساكين الأرزاق[57] غير أن بعض المصادر تجعل ظهور المستشفيات قبل هذا التاريخ. يذكر ابن الحنبلي أن من أقدم المشافي، المستشفى الذي بني تحت المئذنة الغربية في الجامع الأموي الكبير في مدينة دمشق وينسب بناء هذا المستشفى إلى معاوية بن أبي سفيان أو إلى ابنه يزيد[58]. ويبدو أن مستشفى معاوية كان بداية ونواة المستشفيات في العصر الأموي، في حين أن ما عمله الوليد بن عبد الملك المستشفى بالمعنى الحقيقي المستشفيات.

---

50 ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن مُحَّد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978، 224/2

51 القفطي، إخبار العلماء، ص66؛ ابن جلجل، سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، المعهد الفرنسي، القاهرة 1955، ص61-62

52 القفطي، إخبار العلماء،243

53 ابن جلجل، طبقات، ص61-62؛ القفطي، إخبار العلماء، ص243

54 عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب ص275؛ كرد علي، الإسلام والحضارة العربية 172/1

55 البيمارستان لفض فارسي يتكون من مقطعين هما: البيمار وتعني المرضى وستان وتعني الموضع، فيكون معناها موضع المرضى او بيت المرضى، وهو المكان المخصص لإقامة المرضى من اجل تلقى العلاج (ابن أبي اصيبعة، عيون 29/1)

56 الطبري، تاريخ، دار المعارف، القاهرة 224/5؛ خوادابخش، حضارة الاسلام125

57 اليعقوبي، تاريخ، دار صادر بيروت 1960، 290/2

58 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ط2، دار المسيرة، بيروت 1979، 4/3

ولم تقتصر المستشفيات على العاصمة دمشق بل تعداها إلى المدن الإسلامية الأخرى. مثل بيمارستان الفسطاط بمصر، واستمر بيمارستان جند يسابور على شهرته وفي قوته في تقديم الخدمات الطبية في العصر الأموي[59].

راعى الأطباء عند إقامة المستشفيات الفصل بين الرجال والنساء، فكان كل مستشفى يشتمل على قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وكان كل قسم مزودا بكل ما يحتاج إليه من آلات وأدوات وفراشين وخدم ومشرفين من الرجال والنساء، ويشمل على قاعات لمختلف الأمراض كانت بمثابة أقسام متخصصة، فهناك قسم للأمراض الباطنية، وقسم للمجبرين، وقسم للكحالين وقسم للولادة[60].

إن وجود مثل هذه المستشفيات في العصر الأموي، يدل على أن الأطباء الذين عرفوا وذكروا في هذا العصر لم يكونوا وحدهم الذين مثلوا القواعد الكاملة للكادر الطبي عند الأمويين، لأن المصادر لم تذكر، إن أحدا من الأطباء المشهورين، عمل في هذه المستشفيات إلا القليل النادر، حيث كانوا مختصين بمعالجة الحكام فقط، الأمر الذي يساعد على القول بان هناك عددا كبيرا من الأطباء الذين لم تأتي المصادر على ذكرهم، لأنه لم يكن لهم اتصال بالخلفاء، هم الذين قاموا بمهمة معالجة المرض في هذه المستشفيات. وهذا الأمر يبدو طبيعيا جدا، لأنه لا يعقل أن بضعة أطباء أو أكثر بقليل لا يمكن لهم أن يتوزعوا حيث توجد هذه المستشفيات، خاصة وأنهم لم يوجدوا في فترة زمنية واحدة. غير أن هؤلاء الأطباء المغمورين، لم يشتهروا بشيء جديد كما كان حال الذين خصتهم المصادر بالترجمة، إذ لو كانوا كذلك، لما أغفلت المصادر ذكرهم وأحوال أخبارهم[61].

اخذ الطب يتأثر بالاتجاه اليوناني في العصر الأموي وذلك نتيجة لحركة الترجمة، واعتماد الأمويين على الأطباء النصارى مثل: ابن اثال وأبو الحكم الدمشقي وعبد الملك بن ابجر الكناني الذي اسلم على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز[62]. وزيادة في الإيضاح و محاولة في معرفة أحوال وشؤونهم هؤلاء الأطباء المشاهير في العصر الأموي وتوضيح معارفهم وثقافاتهم وطرق وأساليب علاجهم لا بد من نبذة عن حياتهم. و يمكن تبيان المستوى الذي كان عليه الطب في العصر الأموي من خلال الحديث عن سيرة مشاهير أطباء تلك الفترة، لمعرفة أهم معارفهم الطبية وأثرها على الخدمات الصحية.

ابن أثال

59 االزعبي269
60 عيسى، احمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981، ص18-19
61 الزعبي 279
62 العمري، عبدالله منسي السعدي، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر، عمان 1990، ص80

كانطبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه، وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها ومنها السموم؛ أي يمكن اعتباره نموذجا للطبيب الصيدلي لمعرفته بتحضير الأدوية ومزج العقاقير الطبية، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً، ومات في أيام معاوية كما يقال جماعة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم[63]. من ذلك أن معاوية لما أراد أن يظهر البيعة ليزيد قال لأهل الشام أن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، يريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ فقالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت وأضمرها، ودس ابن أثال الطبيب إليه، فسقاه سماً، فمات، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وتوجهه إلى دمشق فقتل الطبيب ابن أثال انتقاما. وبذلك انتهت حياة هذا الطبيب الذي خدم معاوية بن أبي سفيان فترة لا بأس بها من الزمن حتى انتهت حياته بالقتل في مدينة دمشق على يد خالد بن المهاجر[64].

أبو الحكم[65]

أبو الحكم الطبيب الدمشقي النصراني من أهل دمشق، ولم يعرف في المصادر باسم أوضح من ذلك. و كان أبو الحكمطبيباً عالماً بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة مثل سلفه ابن اثال، وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منهمعمّر أبو الحكمعمراً طويلاً حتى جاوز المائة سنة[66]. وقد أرسل معاوية أبو الحكم إلى مكة برفقة ابنه يزيد عندما جعله على رأس قافلة الحج[67].

لا تسعفنا المصادر كثيرا عن أبي الحكم بعد وفاة الخليفة معاوية، وكيف أصبح وضعه ومركزه وما هي مهمته ما عدا بعض الإشارات القليلة التي يستفاد منها انه بقي في خدمة الخليفة عبد الملك بن مروان. حيث يروي عيسى بن حكم عن أبيه، أن جده أعلمه أن عبد الملك بن مروان أصابته "الحمى من شرب الماء في علته التي توفي فيها، وأعلمه أنه متى شرب الماء قبل نضج علته توفي، قال فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث، قال فإني عنده لجالس وعنده بناته، وإذ دخل عليه الوليد ابنه فسأله عن حاله وهو يتبين في وجه الوليد السرور بموته فأجابه بأن قال:

63 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء 403/1
64 ابن أبي اصيبعة، عيون 403/1-403
65 القفطي، إخبار العلماء، ص137، 297؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 403/1-404
66 ابن أبي اصيبعة، عيون 1/ 404
67 القفطي، إخبار العلماء، ص137

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم

وكان استفتاحه النصف الأول وهو مواجه للوليد، ثم واجه البنات عند قوله النصف الثاني، ثم دعا بالماء فشربه فقضى من ساعته"[68].

استمر الطب في أسرة أبي الحكم فقد ورث عنه علمه وصناعة الطب كل من ابنه الحكم وحفيده عيس بن الحكم.

حكم الدمشقي[69]

هو الحكم بن أبي الحكم الدمشقي الطبيب. وكان هذا الطبيب في صدر الدولة العباسية. كان يلحق بابيه في معرفته بالمداواة والأعمال الطبية والصفات البديعة، وكانمقيماً بدمشق وفيها توفي عام 210هـ، وكان من المعمرين. قال عيسى بن حكم: أن والده توفي، "وكان عبدالله بن طاهر[70] بدمشق في سنة عشر ومائتين؛ وإن عبدالله سأله عن مبلغ عمر أبيه فأعلمه أنه عمره مائة وخمس سنين، لم يتغير عقله، ولم ينقص علمه"[71]. وقال عيسى بن الحكم: "أنه ركب مع أبيه حكم بمدينة دمشق، إذ اجتازوا بحانوت حجام قد وقف عليه بشر كثير، فلما بصر بنا بعض الوقوف قال أفرجوا هذا حكم المتطبب وعيسى ابنه، فأفرج القوم، فإذا رجل قد فصده الحجام في العرق الباسليق، وقد فصدفصداً واسعاً، وكان الباسليق على الشريان، فلم يحسن الحجام تعليق العرق فأصاب الشريان، ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم، واستعملنا الحيلة في قطعه بالرفائد ونسج العنكبوت والوبر، فلم ينقطع بذلك، فسألني والدي عن حيلة، فأعلمته أنه لا حيلة عندي، فدعا بفستقة فشقها وطرح ما فيها، وأخذ أحد نصفي القشرة فجعله على موضع الفصد"[72]. ولفه برباط من كتان لخمسة أيام وادخل يدة الرجل بالماء ووجد في اليوم الرابع قد ورم عضده فخفف من شدة الرباط وشفي ذراع الرجل بعد اربعين يوما[73].

ومن أسرة أبو الحكم الحفيد عيسى بن حكم الدمشقي[74]. وهو المشهور بمسيح، صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب إليه[75]، ، ولعيسى بن حكم من الكتب كناشو كتاب منافع الحيوان[76].

يروي يوسف بن إبراهيم عن عيسى بن الحكم أنه عرض لغضيض أم ولد الرشيد قولنج فأحضرته وأحضرت

68 ابن أبي اصيبعة، عيون 405/1
69 ابن أبي اصيبعة، عيون 406/1-7 القفطي، إخبار العلماء، 137-138
70 والي دمشق في خلافة المأمون
71 ابن أبي اصيبعة، عيون 406/1 قارن مع القفطي، إخبار العلماء، ص 137
72 ابن أبي اصيبعة، عيون 406/1-407 قارن مع القفطي، إخبار العلماء،138
73 القفطي، إخبار العلماء، 138
74 ابن أبي اصيبعة، عيون 408/1-410
75 ابن أبي اصيبعة، عيون 408
76 ابن أبي اصيبعة، عيون 409/1

الأبح[77] والطبري[78] الحاسبين، وسألت عيسى عما يرى معالجتها به، فأعلمها عيسى أن القولنج قد استحكم فيهااستحكاماً إن لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف، فطلبت من الأبح والطبري اختيار الوقت المناسب للمعالجة، فأشار عليها الأبح بتعجيل المعالجة ونصحها الطبري بتأخيرها لعدم تطابق التنجيم وأخذت برأي الأخير. وقبلت قول الطبري، فماتت غضيض[79]. قال يوسف نزلت على عيسى بن حكم في منزله بدمشق سنة 225هـ؛ وبي نزلة صعبة، فكان يغذوني بأغذية طيبة ويسقيني الثلج فكنت أنكر ذلك، وأعلمه أن تلك الأغذية مضرة بالنزلة، فيعتل علي بالهواء ويقول أنا أعلم بهواء بلدي منك وهذه الأشياء المضرة بالعراق نافعة بدمشق، فكنت أغتذي بما يغذوني به، فلما خرجت عن البلد خرج مشيعاً لي حتى صرنا إلى الموضع المعروف بالراهب، وهو الموضع الذي فارقني فيه، فقال لي قد أعددت لك طعاماً يحمل معك يخالف الأطعمة التي كنت تأكلها، وأنا آمرك أن لا تشرب ماءبارداً، ولا تأكل من مثل الأغذية التي كنت تأكلها في منزلي شيئاً، فلمته على ما كان يغذوني به فقال أنه لا يحسن بالعاقل أن يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله[80].

ماسرجويه[81]

طبيب بصري, عاصر الخلفاء الأمويين منذ أيام مروان بن الحكم (064-65هـ) والى أيام عمر بن عبد العزيز(99-101) . اسمه ماسرجويه وربما قيل في اسمه ماسرجيس.وكان عالماً بالطب[82]، ولم اعثر على تاريخ وفاته في الكتب التي ترجمت له ويبدو انه عاصر بعض الخلفاء العباسيين بدليل أن ابن أبي اصيبعة أدرج اسمه تحت عنوان أطباء العباسيين.

يذكر صاعد الأندلسي والقفطي وابن أبي اصيبعة: أن ماسرجويهتولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس في الطب من السريانية إلى العربية. وهو كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة[83]. والحقيقة انه ترجم هذا الكتاب (الكناش) أيام مروان بن الحكم، وحفظ في خزائن كتب الأمويين إلى أن وجده عمر بن عبد العزيز فأخرجه للناس للانتفاع به بدليل ما قاله ابن جلجل: ماسرجويه "كان يهودي المذهب سريانياً وهو الذي تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن بن أعين القس إلى العربية، ووجده

77 الحسن بن إبراهيم البغدادي عالم رياضيات عاصر الخليفة المأمون (الفهرست 384)
78 عمر بن فرحان الطبري (ت199هـ) منجم عاش في العصر العباسي عاصر الرشيد والمأمون ()
79 ابن أبي اصيبعة، عيون 408/1
80 ابن أبي اصيبعة، عيون 409/1
81 عن حياته انظر ابن جلجل ص61؛ القفطي، إنباء العلماء ص242؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 182(ط نت)
82 القفطي، إخبار العلماء، ص242
83 القفطي، إخبار العلماء، ص242

عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب، فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين لينتفع به. فلما تم له في ذلك أربعين صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم"[84].

وحدّث أيوب بن الحكم أنه كان جالساً عند ماسرجويه وهو ينظر في قوارير البول إذ أتاه رجل من الخوز فقال: إني بليت بداء لم يبل أحد بمثله، فسأله عن دائه، فقالأصبح وبصري مظلم عليّ وأنا أصيب مثل حس الكلام في معدتي فلا تزال هذه حالي إلى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيه فإذا عاودت الأكل سكن ما بي إلى وقت صلاة العتمة ثم يعاودني فلا أجد له دواء إلاّ معاودة الأكل"[85]. فقال له ماسرجويه: على دائك غضب الله فإنه قد أساء لنفسه الاختيار حين قرنها بسفلة الناس ولوددت أن هذا تحول إليّ وإلى صبياني فكنت أعوضك مما نزل بك مثل نصف ما أملك، فقال له: ما أفهم عنك، فقال له ماسرجويههذه صحّة لا تستحقها أسأل الله نقلها عنك إلى من هو أحق بها منك[86].

يعد ماسرجويه من الأطباء المصنفين فقد تعددت مؤلفاته منها: كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها[87].

تياذوق[88]

هو ثيودوسيوس أو ثيودورس طبيب من أصل يوناني، لم يبق من الكتب التي تنسب إليه شيء وإنما بقيت أقواله عن طريق الرواية. كانطبيباً فاضلاً وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب، وكان في أول دولة بني أميةومشهوراً عندهم بالطب[89]. له تلاميذ أجلة تقدموا بعده، ومنهم من أدرك الدولة العباسية كفرات بن شحناثا، طبيب عيسى بن موسى، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور[90]. كان على علاقة وطيدة مع الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق لعبد الملك بن مروان، وخدمه بصناعة الطب وكان يعتمد عليه، ويثق بمداواته[91]. ومن كلامه للحجاج قال: "لا تنكح إلا شابة؛ ولا تأكل من اللحم إلا فتياً، ولا تشرب الدواء إلا من علة؛ ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، وأجد مضغ الطعام، وإذا أكلت نهواً فلا بأس أن تنام، وإذا أكلتليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة....وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال لا تأكلن حتى تجوع، ولا تتكارهن على الجماع، ولا تحبس البول، وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك، وقالأيضاً للحجاج أربعة تهدم العمر وربما قتلن دخول الحمام على البطنة؛ والمجامعة على

84 ابن جلجل، طبقات ص61 وقد نقل القفطي هذه الرواية مع الرواية السابقة (القفطي، إخبار العلماء، ص242)
85 القفطي، إخبار العلماء، ص 243؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 182(ط نت)
86 القفطي، إخبار العلماء، ص 244
87 القفطي، إخبار العلماء، ص 243
88 القفطي، إخبار العلماء ص85؛ ابن أبي اصيبعة، عيون /410-413
89 ابن أبي اصيبعة، عيون 410/1
90 القفطي، إخبار العلماء ص85
91 القفطي، إخبار العلماء ص85؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 410/1

الامتلاء؛ وأكل القديد الجاف؛ وشرب الماء البارد على الريق، وما مجامعة العجوز ببعيدة منهن"[92]. ووجد الحجاج في رأسهصداعاً فسأل تياذوق فقال له: اغسل رجليك بماء حار، وادهنهما، وشكى الحجاج ضعفاً في معدتهوقصوراً في الهضم إلى تياذوق فقال يكون الأمير يحضر بين يديه الفستق الأحمر القشر البراني ويكسره ويأكل من لبه، فإن ذلك يقوي المعدة، وداواه مما عرض له. ومن أخباره مع الحجاج أنه دخل عليه يوماً، فقال له الحجاج أي شيء دواء أكل الطين؟ فقال عزيمة مثلك أيها الأمير، فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يعد إليه أبدا[93]. وقيل أن بعض الملوك لما رأى تياذوق وقد شاخ وكبر سنه، وخشي أن يموت ولا يعتاض عنه، لأنه كان أعلم الناس وأحذق الأمة في وقته بالطب. فقال له: "صف لي ما أعتمد عليه، فأسوس به نفسي، وأعمل به أيام حياتي، فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت، ولا أجد مثلك؛ فقال تياذوق: أيها الملك بالخيرات، أقول لك عشرة أبواب إن علمت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك، وهذه عشر كلمات :لا تأكلطعاماً وفي معدتك طعام؛ ولا تأكل ما تضعف أسنانك من مضغه، فتضعف معدتك عن هضمه، ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين؛ فإن أصل الداء التخمة، وأصل التخمة الماء على الطعام، وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة، فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل إليه الدواء، وأكثر الدم في بدنك تحرص به نفسك، وعليك كل فصل قيئة ومسهلة، ولا تحبس البول وإن كنت راكباً، واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك، ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة فليكثر أو يقل، ولا تجامع العجوز فإنه يورث الموت الفجأة"[94]. وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب ان الحجاج قال لابنه مُحَمَّد يا بني إن تياذوق الطبيب كان قد أوصاني في تدبير الصحة بوصية كنت استعملها، "لا تشربن دواء حتى تحتاج إليه، ولا تأكلنطعاماً وفي جوفك طعام، وإذا أكلت فامش أربعين خطوة، واذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الأيسر، ولا تأكلن الفاكهة وهي مولية، ولا تأكلن من اللحم إلا فتياً، ولا تنكحن عجوزاً، وعليك بالسواك، ولا تتبعن اللحم اللحم، فإن إدخال اللحم على اللحم يقتل الأُسود في الفلوات، وقالأيضاً إبراهيم بن القاسم الحجاج إن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمهاللهً ، وكان من خيار التابعين، وجرى بينهما كلام كثير، وأمر به فذبح بين يديه، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله، فقال الحجاج لتياذوق طبيبه ما هذا؟ قال لاجتماع نفسه، وأنه لم يجزع من الموت، ولا هاب ما فعلته به، وغيره تقتله وهو مفترق النفس، فيقل دمه لذلك.

92 ابن أبي اصيبعة، عيون 411/1
93 المصدر نفسه 411/1-412
94 المصدر نفسه 413/1

توفي تياذوق بعد ما أسن وكبر، وكانت وفاته بمدينة واسط في نحو سنة تسعين للهجرة، وله من الكتب كناش كبير لّفه لابنه. وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإنقاعها وإذابتها. وشيء من تفسير أسماء الأدوية[95].

زينب طبيبة بني أود[96]

كانت عارفة بالأعمال الطبية، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، مشهورة بين العرب بذلك. قال أبو الفرج الأصفهاني في سنده عن جد كناسه قال: "أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان قد أصابني، فكحلتني، ثم قالت: اضطجعقليلاً حتى يدور الدواء في عينيك، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت. ثم قالت أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت: لا . قالت:فيَّوالله َّ قيل، وأنا زينب التي عناها، وأنا طبيبة بني أود، وكان الشاعر عمك أبو سماك الأسدي[97].

عبد الملك بن أبجر الكناني[98]

كانطبيباً عالماً ماهراً، وكان في أول أمرهمقيماً في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسكندرانيين، وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى، ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذأميراً قبل أن تصل إليه الخلافة، وصحبه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة، نقل التدريس إلى إنطاكية وحران وتفرق في البلاد، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه في صناعة الطب، روى الأعمش عن ابن أبجر أنه قال دع الدواء ما احتمل بدنك الداء، وهذا من قول النبي صلى الله علية وسلم[99] ". قول ابن أبي أصيبعة "، وكان في أول أمرهمقيماً في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسكندرانيين". قول يحتاج إلى نظر. فمن المعروف عن ابن ابجر أنه كان من علماء الكوفة، ولعله خلط بين اسم عالم اسكندري مسيحي اسمه أدفر كان يقوم بالتدريس في مدرسة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي. وإن ابن ابجر لم يكن نصرانيا ثم أسلم، وسلسلة نسبه توضح ذلك. ومن المعروف أن بني أبجر كما ذكر ابن قتيبة كانوا أطباء في الكوفة[100].

95 ابن أبي اصيبعة، عيون 414/1
96 المصدر نفسه 414/1
97 المصدر نفسه 414/1
98 عنه انظر: ابن جلجل 49 وانظر هامش المحقق؛ ابن أبي اصيبعة، عيون 400/1-401؛
99 ابن أبي اصيبعة، عيون 400/1-401
100 ابن قتيبة، المعارف تحقيق ثروت عكاشةط2، دار المعارف، القاهرة 1969، ص66

الخاتمة

بدأ الطب بسيطاً عند العرب قبيل الإسلام، فقد كان لهم معارف طبية تتناسب مع حياتهم التي عاشوها وعندما أشرقت شمس الإسلام وكانت الطهارة والنظافة لازمتين لكثير من العبادات فقد شجع الإسلام على التداوي والعلاج، فالذي خلق الداء خلق الدواء فعرف العصر النبوي عددا من الأطباء الذي كان بينهم أطباء ذا شهرة عالية.

وفي العصر الأموي احتل علم الطب المرتبة الأولى بين العلوم الأخرى التي ظهرت بداياتها ترسخ في هذا العصر، سواء كان ذلك من حيث اهتمام الخلفاء بمؤسساته وتطويرها، أو الاهتمام بأصحاب المهن الطبية الذين يعدون الركن الفعال لقيام مثل هذه المؤسسات. فقد قام الطب على أسس ودعائم ثابتة ومؤثرة، كان لا بد لها أن تنهض وتستمر لتأثيرها الكبير على حياة المجتمع الإنساني واستمراره. وتجلت هذه الأسس والدعائم بالمحافظة على الصحة العامة وعدم انتشار الإمراض والأوبئة المؤدية بالنهاية إلى هلاك الإنسان وتحقيق الحياة السعيدة للإنسان.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي أُصيبعة، احمد بن القاسم (ت668هـ)، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، ط1، دار المعارف القاهرة+ (ط على النت)
2. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت د. ت.
3. ابن جلجل، سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد الفرنسي للآثار، القاهرة 1955
4. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ)، المقدمة، بيروت 1949
5. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن مُحَمَّد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1978
6. ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط2، دار المعارف، القاهرة 1969
7. ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر، الطب النبوي، ط2، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م وطبعة تحقيق شعيب أرناؤوط وعبد القادر ارناووط، ط1 1980 وطبعة القاهرة، 1957
8. الأصفهاني، ابو الفرج، الأغاني، دار الكتب، القاهرة 1345
9. الأندلسي، صاعد بن احمد، طبقات الأمم، مطبعة السعادة، القاهرة، ص128؛
10. براون، ادوارد جي، الطب العربي، ترجمة داود سليمان علي، مطبعة العاني، بغداد 1964
11. جميعان، فؤاد سلامة، مآثر العرب العلمية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001م
12. حمارنة، نشأت، تاريخ الطب، دمشق 1978
13. الخطيب، عبد الرحمن ، الطب في الجاهلية وزمن النبوة http://www.alhayat.com/article/351591
14. خوادابخش، حضارة الإسلام
15. الزعبي، مُحَمَّد، العلوم في العصر الأموي، دمشق 1982
16. السامرائي، خليل إبراهيم ، دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، الموصل د. ت.
17. السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القران، المكتبة الثقافية بيروت 1973
18. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة 1960-1969
19. عبد الرحمن ، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب

20. العمري، عبد الله منسي السعدي، تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوي للنشر، عمان 1990
21. عيسى، احمد، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت 1981
22. فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي 1978
23. فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب
24. القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت ، ص66
25. القنوجي، أبجد العلوم
26. كرد علي، مُحَمَّد، الإسلام والحضارة العربية
27. مرحبا، مُحَمَّد عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م
28. اليعقوبي، تاريخ، دار صادر بيروت 1960